

البداية والنهاية

يوسف بن الامير حسام الدين .

قرأ وغلى بن عبد الله عتيق الوزير عنون الدين يحيى بن هبيرة الحنبلي ٢٦٣٥ تعلى الشيخ شمس الدين .

ابو المظفر الحنفي البغدادي ثم الدمشقي سبط ابن الجوزي امه رابعة بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الواقع وقد كان حسن الصورة طيب الصوت حسن الواقع كثير الفضائل والمحفظات ولهم مرآة الزمان في عشرين مجلدا من أحسن التواريخ نظم فيه المنتظم لجده وزاد عليه وذيل إلى زمانه وهو من أبهج التواريخ قدم دمشق في حدود المستمئة وحظى عند ملوكبني أيوب وقدموه وأحسنوا إليه وكان له مجلس وعط كل يوم سبت بكرة النهار عند السارية التي تقوم عندها الواقع اليوم عند باب مشهد علي بن الحسين زين العابدين وقد كان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع ويتركون البساتين في الصيف حتى يسمعوا ميعاده ثم يسرعون إلى بساتينهم فيتذاكرؤ ما قاله من الفوائد والكلام الحسن على طريقة جده وقد كان الشيخ تاج الدين الكندي وغيره من المشايخ يحضرون عنده تحت قبة يزيد التي عند باب المشهد ويستحسنون ما يقول ودرس بالعزية البرانية التي بناها الامير عز الدين أبيك المعظمي اساذ دار المعلم وهو واقف العزية الجوانية التي بالكشك أيضا وكانت قدما تعرف بدور ابن منقد ودرس السبط أيضا بالشبلية التي بالجبل عند جسر كحيل وفوض إليه البدريه التي قبلتها فكانت سكنه وبها توفي ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة وحضر جنازته سلطان البلد الناصر ابن العزيز فمن دونه وقد أثني عليه الشيخ شهاب الدين أبو شامة في علومه وفضائله ورياسته وحسن وعظه وطيب صوته ونضارته وجهه وتواضعه وزهده وتودده لكنه قال وقد كنت مريضا ليلة وفاته فرأيت وفاته في المنام قبل اليقظة ورأيته في حالة منكرة ورأاه غيري أيضا فنسأله العافية ولم أقدر على حضور جنازته وكانت جنازته حافلة حضره السلطان والناس ودفن هناك وقد كان فاضلا عالما طريفا منقطعا منكرا على أرباب الدول ما هم عليه من المنكرات وقد كان مقتضا في لباسه مواطبا على المطالعة والاشغال والجمع والتصنيف منصفا لأهل العلم والفضل مبانيا لاولى الجهل وتأتي الملوك وأرباب المناصب إليه زائرين وقادمين وربى في طول زمانه في حياة طيبة وجاه عريض عند الملوك والشعوب نحو خمسين سنة وكان مجلس وعده مطربا وصوته فيما يورده حسنا طيبا ٢٦٣٥ تعلى ورضي عنه وقد سئل في يوم عاشوراء زمن الملك الناصر صاحب حلب أن يذكر للناس شيئا من مقتل الحسين فصعد المنبر وجلس طويلا لا يتكلم ثم وضع المنديل على وجهه وبكي شديدا ثم

أَنْشَا يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي